العاطفة الإنسانية فيه، ولإظهارها بما يثير ويؤثر فى النفس، وبما يشبع ويمتع الروح وتلك الموسيقى هى التى جعلت الشعر أسلس قياداً للحفظ، وأيسر وأشيع فى الناس وعلى الزمان، فليس كالشعر ما يظل حتى قديمه الضارب بجذوره فى عصور التاريخ محفوظاً على صفحات الصدور تردده الألسنة فى شتى المناسبات مادحة أو راثية أو مفتخرة أو واعظة وليس من الناس كبيرهم وصغيرهم، بل متعلمهم وجاهلهم من لم يحفظ من الشعر ما يستدل به على موقف من مواقف الحياة أو يتغنى به فى ساعة من الساعات.

والموسيقى التى تضمنها شعرنا العربى غزيرة ومتنوعة[1]. غير أن المنظومات العلمية ومنها المنظومة النحوية اتخذت من بحرى الرجز والسريع وسيلة لنظم العلوم لما لهما من إمكانات تتسع لنظم العلوم وإن كان السيوطى فى منظومته النحوية المعروفة (بالدرة الفريدة) قد نظم فيها أبياتاً قليلة على بحرى البسيط والهزج خصوصاً عند صياغة أمثلة الممنوع من الصرف والملاحظ على الشعر التعليمى كله أنه كان من العوامل القوية التى حررت الشعر في القرن الثانى من نظام القصيدة التقليدية وخاصة فى القوافى. وذلك لأن طبيعة الشعر التعليمى وصوغه لمعارف وعلوم شتى، ألزمت الشعراء بالاتجاه إلى المزدوج وغيره من ضروب النظم، وإسحق بن حنين له قصيدة تعليمية فى تاريخ الطب (من الطويل) يقول فيها:

أنا ابنُ الذين استودع الطب فيهمُ ... وسمِّي به طفْلٌ وكَهْلٌ ويافعُ
يبصرنى آرستطاليس بارعاً ... يقومُ منى منطق لايدافَع
وبقراط فى تفضيل ما أثبت الألى ... لنا الضرُّ والإسقام طبٌّ مضارع
ومازال جالينوس يشفى صدورنا ... لما اختلفت فيه علينا الطبائع
ويحيى بن ما سويه واهرن قبلَه ... لهم كتبٌ للناسَ فيها مَنافعُ[2]

---

(١) د/ محمود على السمان، فن الموسيقى فى الشعر العربى، ج١، ص ٧، الشركة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٧٨م.

(٢) لويس شيخو، شعراء النصرانية بعد الإسلام، ص ٢٤٩، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٦م.